

الأمة السورية من أقدم أمم العالم وأول أمة ابتدأت فيها المدنية الحديثة، وهي الأمة التي أعطت أسس المدنية للعالم ونقشت اسمها في تاريخ العمران والحضارة بأحرف من نور.

سعادة

## الزاوية

### الهوية بين الثابت والمتحوّل

#### ◆ نظام مارديني

يستمر الحديث عن الهوية وسط أوجه كثيرة من الاختلاف والتناقض الفكري والسياسي، خاصة في عالمنا العربي الممزق قطريا وطاقيا واجتماعيا وإثنيا وعشائريا من ناحية، والممزق أيضا بين تيارات الحاضر والماضي وضبابية المستقبل من ناحية ثانية، فالكثير من مجتمعاتنا العربية لا تزال تعيش حالة من «الشيزوفرانيا» المعرفية والسياسية بحكم وجودها الشكلي في القرن الحادي والعشرين وانتمائها الفعلي والجوهري إلى القرن الخامس عشر، وما ينتج ذلك من تشتت في مفهوم الهوية ذاته، إذ نراه مفهوماً غامضاً في أساط الغالبية الساحقة في العالم العربي.

تسرب مفهوم الهوية إلى الفكر العربي في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع العشرين، إذ لم تكن تقع عليه ضمن المصطلحات المترجمة في تلك الفترة مثل: الحرية، الأمة، القومية، المساواة، الوطن، الوطنية، الثورة... إلخ. ولعل أول من استخدم مصطلح الهوية وكرسه في بعده القومي هو المفكر النهضةي أنطون سعاده من خلال طرحه سؤاله الفلسفي الكبير «من نحن؟» وإجابته عن هذا السؤال بـ «أنا سوريون والسوريون أمة تامة»، وهذا لا يعني غياب المصطلح عن فكر العديد من النهضةيين، ولعلنا نذكر هنا أن سلامة موسى كان استخدم مصطلح الهوية نقلا عن ابراهيم اليازجي.

يعتبر مفهوم الهوية من المفاهيم صعبة التحديد، بكونها مفهوماً متحركاً وفي حالة بناء دائمة من خلال الوضعيات التي يكون فيها الأفراد والجماعات ونوعية العلاقات الموجودة بينها وفي تلك الوضعيات كلها وما يحدث داخلها من علاقات، إذ يقوم شعور الانتماء بوظيفة مهمة في تأكيد الهوية ورسم حدودها. ويشير مفهوم الهوية إلى ما يكون به الشيء هو هو، أي لناحية تشخصه وتحققه في ذاته وتمييزه عن سواه، فهو وعاء الضمير الجمعي لأي مجتمع أو تكتل بشري، ومحتوى لهذا الضمير في الآن عينه، بما يشمل من قيم ومقومات تكيف وعي الجماعة وإرادتها في الوجود والحياة داخل نطاق الحفاظ على كيانها.

مفهوم الهوية من المفاهيم التي أخذت حيزاً كبيراً من تفكير الباحثين وازداد هذا الاهتمام في السنوات الأخيرة مع ظهور عصر الحداثة، إذ غدت الهوية هدفاً رئيسياً وبات ينظر إليها كأداة يتم التحصن بها في أوضاع التحولات والاستقطابات، وتبرز الانتماءات القبلية والطائفية والدينية والقومية في هذه الحال تقود إلى الانكفاء على الذات ورفض الاندماج والتفاعل وعدم الإقرار بالاختلاف والتنوع، ومن ثم تكون الفرصة لمواجهة الآخر والدخول في صراعات للحفاظ على الهوية.

الهوية جسر يعبر من خلاله الفرد إلى بيئته الاجتماعية والثقافية، فهي إحساس بالانتماء والتعلق بمجموعة، ولذلك فإن القدرة على إثبات الهوية ترتبط بالوضعيات التي تحتلها الجماعة في المنظومة الاجتماعية ونسق العلاقات فيها. وتطرح مقابل ذلك مقاربة سوسولوجية ترى أن الهوية تتغير بالتاريخ وتشكل استجابة مرنة تتحول مع تحول الأوضاع الاجتماعية والتاريخية، وتمتدّ منها من دون أن تشكل رداً طبيعياً، وبذلك تكون هوية نسبية تتغير مع حركة التاريخ والتغيرات.

لكن يبدو أن تغير الهويات ينبغي أن يخضع لقانون التوازن بين الثوابت المميزة للهوية والعناصر القابلة للتحويل، وإلا كانت الهوية عرضة للخطر والتدمير، تتضمن مكونات ثابتة وأخرى قابلة للتغيير.

لكن السؤال المطروح هنا علينا وعلى دول الهلال الخصيب والعالم العربي كافة: هل أخفق المشروع القومي النهضوي الحديث الذي أطلقه سعاده في المنطقة مطلع القرن العشرين؟ هل ما زلنا ضحايا «المسألة الشرقية» التي كانت من أسس تعامل الدول العظمى مع الإمبراطورية العثمانية، عن طريق التدخل في شؤونها الداخلية بحجة حماية حقوق الأقليات، والتلاعب بمصائر الأقليات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية؟

صحيح أن ثمة من دعا إلى ضرورة تحرير الهوية من الماضي وربطها بالحداثة وأفقها التنويري والديمقراطي، فالحداثة تعني ارتباطنا بالعصر واندماجنا في قضايا، والحداثة تحمل شكل الوطن المتجاوز للهويات التقليدية التي تمزق وحدته إلى هويات صغرى متناثرة. وحدها الحداثة هي موضع للوطن، فالحداثة هي عصر اللوطن بعد انحسار جميع تقاليد الهوية، ولذلك فإن المعنى الوحيد للهوية هو الحضور في العصر بوصفه نمطاً جديداً أو متيقناً من الوطن.

لا ريب في أن الدولة المدنية الحديثة بمختلف مؤسساتها الوطنية تمتلك القدرة على تفكيك منظومة الولاءات الجزئية والارتقاء بها إلى أفق أوسع من غير أن تغلبها بالقسر والإكراه، فالمجتمع الذي تكاملت شخصيته (هويته) عبر التاريخ بالتطور هو وحدة ثقافية اقتصادية اجتماعية، أما الوحدة السياسية فهي نتاج حاصل، وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع المتخلف اقتصادياً، أي المجتمع الذي ليست فيه يور إنتاج كبيرة جامعة للناس. هو حكما مجتمع مفكك اجتماعياً. بمعنى أن ثمة عوامل لتطور المجتمع وتكوين هويته القومية وهي: العامل الثقافي (الثقافة- علوم وثوابت إنتاج) + العامل الاقتصادي (اقتصاد متطور) + العامل الاجتماعي (علاقات اجتماعية متطورة) + العامل السياسي (نظام سياسي متطور).

لا بد للدولة من أن تضع نصب أعينها كل ما يبيد التوازن والاستقرار في المجتمع قاعدة لتطوير الإنتاج وخلق حالة من النمو والتكامل بين القطاعات الاقتصادية المختلفة، ما ينعكس على زيادة الإنتاج الاجتماعي وانتعاش المواطن السلمية لتكون الأساس الممتين لصنع المنجز الحضاري وهنا تكون العلاقات الانتاجية جوهر الحركة الاجتماعية المجدسة لهوية الجماعة الوطنية.

غير أن الهوية تلقي بنا هنا في إشكالية مفهوم العلاقة بين كل من الثقافة والهوية، وللتمكن من تحليل وتحديد كل منهما والعلاقة والحدود المرسومة بينهما، يجب أن نعرف أين تتبدى ثوابت أزمة الهوية القومية ومتحولاتها وأزمة صراعها بين الثنائيات الآتية: الأنا والآخر، الأصالة والمعاصرة، التراث والحداثة...

لذا، فإن تكاثر «الأنا الثقافي» وانعزال أنماطه وتحسس معطياته وإنشطار عناصره على خلفية المشهد السياسي المعاصر لم يكن في درس التاريخ الاجتماعي لدول الهلال الخصيب وليد انحراف نزاعاته الإثنية أو تكوّن انتمائه الطائفية – مثلما يحاول البعض الإيهام بذلك-، بقدر ما هو تعبير قاس عن دعايات الطغيان السياسي والحرمان الاقتصادي والاضطهاد الاجتماعي والكيبت النفسي والقمع الفكري، التي فرضت عليه وموسر ضده على مدى أجيال، بحيث ارتد الوضع بالمجتمع إلى حالته الطبيعية / البدائية التي أقاض في رسم مساواتها وتعداد مثاليها فيلسوف السياسة الإنكليزي توماس هوبز، بينما المراد هو تحقيق مطلب وحدة الحياة داخل المجتمع القومي، وإنضاج الشروط الحضارية لبلوغ المجتمع المدني المتطور.

أخيراً، يمكن أن نؤكد ما قاله الباحث محمد عبد الجباري (العولمة والهوية الثقافية عشر أطروحات 2010/04/15) فالهوية الثقافية لا تكتمل ولا تبرز خصوصيتها الحضارية، ولا تغدو قادرة على نشدان العالمية، على الأخذ والعطاء، إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان مشخص تتطابق فيه ثلاثة عناصر: الوطن والأمة والدولة.

الوطن: بوصفه الأرض أو الجغرافية.  
الأمة: بوصفها النسب الروحي.  
الدولة: بوصفها التجسيد القانوني لوحد الوطن والأمة.



## وفاة الروائية الجزائرية آسيا جبار عن 79 سنة

توفيت الروائية والسينمائية الجزائرية آسيا جبار عن 79 سنة في أحد مستشفيات العاصمة الفرنسية باريس.

ونقلت وكالة الأنباء الجزائرية الرسمية، أول من أمس، عن وزيرة الثقافة نادي لعبيدي قولها إن آسيا التي وافقها النعية الجمعة «حملت الجزائر في قلبها وذاكرتها وكرست حياتها للكتابة والإبداع من خلال أعمالها ومؤلفاتها العديدة...»

ولدت آسيا جبار - واسمها الحقيقي فاطمة الزهراء امالين - في 30 حزيران 1936 في مدينة شرشال الساحلية، وقضت طفولتها وسنوات الدراسة الأولى في مدينة موزاية بالبلدية، وأكملت دراستها الثانوية في باريس ثم عادت إلى الجزائر بعد الاستقلال للانتظام في الدراسة الجامعية.

نشرت أولى رواياتها «بعيدا عن العيش» في 1953 باسمها المستعار آسيا جبار قبل أن تبلغ سن العشرين. وقدمت على مدى نحو 50 سنة أكثر من عشرين رواية ومسرحية وديوان شعر ترجموا إلى لغات عدة.

ومن أبرز أعمالها روايات «بعيدا عن العيش» و«هران لغة ميتة» و«أبيض الجزائر»... وأظل السلطان، و«شاسع هو السجن» و«وهران لغة ميتة» و«أبيض الجزائر».

أخرجت فيلمين سينمائيين «توبة نساء جبل شونة» في 1977 و«الزردة وأغاني النسيان» في 1982.

وكانت الروائية الراحلة تقيم في فرنسا وكانت من أبرز المناصرات لقضايا المرأة. نالت تكريمات وجوائز عدة وبلغت قمة نجاحها الأدبي عندما انتخبت لعضوية أكاديمية اللغة الفرنسية عام 2005 كأول امرأة عربية تتبوأ ذلك المكان. وظلت ضمن الأسماء المرشحة لجائزة نوبل للأدب.

وكان آخر أعمالها رواية «لا مكان في بيت أبي» في 2007 التي تروي جزءاً من سيرتها الذاتية.

## طفل بعمر الخامسة يتذكر ما حدث معه قبل 30 سنة



صورة لطفلة بعمر خمسة سنوات تتذكر ما حدث معها قبل 30 سنة.

غالباً لا يأخذ الوالدان كلام أطفالهما على محمل الجد خصوصاً خلال الحديث عن أمور من وحي خيالهم الخصب على اعتبار أنه مجرد ثرثرة، لكن هذا الطفل أثبت العكس تماماً. كان لوك رولمان (5 سنوات) يؤكد لوالدته منذ أن كان يبلغ من العمر سنتين فقط أنه كان في حياته السابقة فتاة سوداء قتلت منذ 30 سنة بعد أن قضت بسبب حريق اندلع وفندق باكستون في شيكاغو، مؤكداً أن هذه الفتاة تدعى «بام».

لكن حين بلغ الخالفة وكثرة ما كان يردد بأنه كان بام في حياته السابقة مقدماً دلائل مستوحاة من تفاصيل حياتها اليومية، قررت والدته ريببكا أن تبحث في حقيقة هذه القصة فوجدت في صحيفة في شيكاغو تعود لعام 1993، خبراً حول وفاة فتاة تدعى باميلا روبنسون والتي لقيت حتفها بالطريقة نفسها التي وصفها لها ابنتها لوك.

وبحسب صحيفة «دايلي ميل» البريطانية، أكدت الوالدة أن طفلها كان يذكر باستمرار تفاصيل حول حياة بام، مؤكداً أنها لاحظت تشابهاً كبيراً بين شخصية طفلها وشخصية تلك



الفتاة السوداء من خلال تواصلها مع عائلتها. وفي مقابلة مع قناة «فوكس 6» الأمريكية الأسبوع الماضي، تم عرض 30 صورة لنساء سود على لوك، وطلب منه تحديد باميلا روبنسون، فقام باختيار الصورة الصحيحة من دون أي مساعدة.

## مصور يوثق لحظات اعتداء غوريلا عليه



غادر مصور الحياة البرية كريستوف كورتو من محمية في رواندا بجاذبة لن ينساها طوال حياته بسبب غوريلا هجمت عليه خلال محاولته التقاط مجموعة صور لها. وبحسب صحيفة «دايلي ميل» البريطانية، كان كريستوف كورتو (46 سنة) يصور مجموعة من الغوريلات من نوع «كويتوندا» Kwitonda داخل حديقة «البراكين» الوطنية في رواندا غير أن الغوريلا «أكاريفورو» لم تحب عدسات الكاميرا وغضبت من محاولة المصور اقتحام خصوصيتها. وتظهر الصور التي نشرتها صحيفة «دايلي ميل» البريطانية تفاصيل لحظات مهاجمة الغوريلا للمصور وإسقاطه أرضاً واضحة كامل وزنها على جسده، تماماً كمشهد مستوحى من المباريات القتالية عند البشر.

واستطاع المصور النجاة غير أنه أصيب بعدد من الندوب «التكارية» على جبهته، لتكون شاهدة على هذه الحادثة التي ستبقى محفورة في ذاكرته طوال حياته.

## آخر الكلام

### أميركا: تطوير الهجوم التضليلي

#### ◆ وليد زيتوني\*

أصبح معروفاً للقاصي والداني، أنّ الولايات المتحدة (ومعها ما يُسمى التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب) تقوم بهجوم تضليلي بهدف الاقتراب بوسائل أخرى أو بقوات مغايرة من الهدف الاستراتيجي، ألا وهو محاولة فرض شروطها على سورية، كجزء من منظومة الممانعة التي تتكون على مستوى العالم.

لقد مرّ الهجوم التضليلي بمراحل عدة. بدأ بالمطالبة بالحرية والديمقراطية مزوجة باستعراضات مسلحة واسعة النطاق. غير أنّ هذا الأسلوب لم ينجح في سورية كما نجح في تونس ومصر. بل صمدت سورية بجيشها وشعبها بشكل أزعج الإدارة الأميركية وكلّ أعوانها. ومن ثم انتقلت إلى دفع قوات مرتزقة مدعومة بالأموال وكميات أسلحة وأجهزة اتصال، قل نظير استخدامها في الحروب الأهلية وحتى المحلية. هذه المرتزقة الممنوعة من كلّ اصقاع الأرض مدعومة بإيديولوجيا وهابية، وإعلام مرثي ومسموع موزع على عشرات المحطات التي أنشئت خصيصاً لهذا الغرض، تحت إشراف خبراء حرب نفسيين تدار مباشرة من قيادة المنطقة الاستراتيجية الوسطى للجيش الأميركي في قطر.

مرة جديدة، لم يصل هذا الهجوم إلى ما يتبعفه الولايات المتحدة. فتركت نحو تشكيل تحالف دولي لمحاربة «داعش» التي هي أنشأتها أصلاً، ليتسنى لها الاقتراب أكثر من هدفها. فداعش، الذي لم يكن موجوداً على الساحة، ولد ما بين ليلة وضحاها من لدن تنظيم «القاعدة» في العراق عند احتلالها، كما ولدت شقيقته الصغرى «جبهة النصرة» وهما من قماشة نفسها «الجبهة الإسلامية» و«جيش الإسلام». تسميات مختلفة وأدوار مختلفة لجسم واحد.

لكن يبدو أنّ هذه القوى لم تستطع أن تؤدّي الأدوار المرسومة لها على رغم الدعم المباشر بالسلح والرجال عبر تركيا والأردن ولبنان، وبالعالم من دول الخليج، كما يعزّز الخبراء «الإسرائيليون»، ما دفع الأميركيين إلى جعلها «رابوق» الهجوم، أو ما يُسمى بكلام آخر «حصان طروادة» الأميركي.

تحت هذا العنوان، بدأت أميركا بتخصيص البدائل عبر التحالف الدولي، بعد أن أتمت إغلاق دائرة النيران المفترضة حول سورية. من القلمون مروراً بالقبضة وصولاً إلى درعا ودير الزور والرقبة ومنها إلى إدلب وحلب والشمال الغربي من الساحل السوري. ولا يغيب عن ذهننا أبداً، أنّ سياسة أميركا الحالية تقتضي عدم استخدام قواها العسكرية بشكل مباشر على الأرض، لذلك سلتجأ إلى استخدام القوى العسكرية البديلة، منها ما هو على نموذج الشركات الأمنية (بلاك ووتر)، ومنها ما هو جيوش دول منتظمة في إطار التحالف النضالي لهذه الغاية.

فمشيئة الطيار الأردني الذي سقط بصاروخ طائرة إماراتية، كما جاء في بعض وسائل الإعلام، هي عمل مخطئ له ومدروس لجزء الجيش الأردني لدخول منطقة الرقة بمساعدة طيران التحالف وبخاصة دول الخليج. ويتوافق هذا المشهد مع مثالية الهجوم على مواقع حدودية سورية. وما سمعنا عن انسحاب الإمارات من التحالف ليس إلا رسالة احتجاج على تسريب خبر إطلاق الطائرة الإماراتية صواريخها على الطائرة الأردنية.

ما يجري الآن هو عملية غش كبرى في التاريخ، تسوقها الإدارة الأميركية بالتعاون والتنسيق مع الحكام العرب، وتشترك فيها أوروبا و«إسرائيل»، تستهدف أمّتنا بكلّ مكوناتها البشرية، بدءاً من تهجير الأقليات الطائفية والمذهبية والإتنية وحتى تدمير الأكثرية نفسها بنفسها.

إنّ الأردن اليوم في وضع خطير جداً، يمضي على قدميه إلى حتفه. فالمساعدة العسكرية الأميركية البالغة 350 مليون دولار لن تغنيه وتسمنه. وهي في الواقع لا تشكل إلا رقماً ضئيلاً من الموازنة المرصودة لما يُسمى محاربة «داعش» البالغة 8.8 مليار دولار يذهب أكثر من نصفها إلى «داعش» وأخواته بطريقة مباشرة وغير مباشرة. فالغارات الأميركية الوهمية تلقي السلاح والخنازير والسامة فتاة سوداء قتلت منذ 30 سنة هذا ما حصل في عين الحرب وما يحصل الآن في الأنبار والرقة وعلى حدود القامشلي. فالطائرات المجهولة ليست مجهولة بوجود الإدارات والأقمار الصناعية وأجهزة الرصد الأرضية. إنّ إدخال الجيش الأردني سورية، وتحديداً الرقة، يؤدي بالتأكيد إلى استنزافه إن لم نقل تدميره، ليس فقط من ناحية عسكرية بل بنيوية، كونه جيش يقوم على الولاء للملك ولا يحمل ميزات الجيش العقائدي، تماماً كوضع الجيش اللبناني، فكلها موقوفات تدعى على نوازات داخلية، دقيقة ومعقدة. فإضعاف الجيش الأردني يعني وبكل بساطة تأمين مشروع الترانسفير الصهيوني، وإضعاف الجيش اللبناني يؤدي إلى مشروع التوطين.

لقد تورّط الأردن بما فيه الكفاية، وتورّط لبنان فوق طاقته. وبالتأكيد لن تدفع أميركا من حسابها وحساب مصالحها، بل سيكون الدفع على حساب الدول الهامشية في نهاية المطاف.

#### \* عميد ركن متقاعد

## «ندوة الإبداع» تنظم ندوة عن مسيرة القاضي د. غالب غانم

تنظم «ندوة الإبداع» ندوة حول المسيرة القانونية والأدبية والوطنية للقاضي الدكتور غالب غانم، الرئيس السابق لمجلس القضاء الأعلى والرئيس الأول لمحكمة التمييز شرقاً، وذلك الساعة الخامسة والنصف من مساء يوم غد الثلاثاء في مركز توفيق طيارة - بيروت - الظريف. شارع توفيق طيارة خلف حديقة المصانع - مطابق أول. يبدأ برنامج الندوة بالتشديد الوطني اللبناني، ويقدمها ويديرها الإعلامي الناقد سليمان بختي، ثم كلمة الافتتاح لرئيسة «ندوة الإبداع» د. سلوى الخليل الأمين، تليها كلمات لكل من: الأديبة الدكتورة إلهام كلاب المساط، الدكتور دياب بونس، الوزير السابق الدكتور خالد قباني، الوزير السابق البروفيسور إبراهيم نجار، الأديب المحامي رفيع غانم، وقراءات للفنان جهاد الأطرش.